السياسي العراقي حازم جواد: ذكريات عن العلم العراقي والقضية الكردية وجلال طالباني (3 من 3):

الملا مصطفى طالب النظام العراقي بـ«حلاوة» الاتفاق وهي تسليمه قائمة من «الجحوش» على رأسها جلال طالباني

الموقف القومي العربي من الاكراد جرى تشويهه من قبل القيادات الكردية وبسبب ممارسات النظام العراقي القمعية

حاوره: ابراهيم درويش

الحركتان الكرديتان لعبتا ادوارا تبادلية مع الانظمة العراقية المتعاقبة كان آخرها انزال العلم العراقي عن مؤسسات الدولة في شمال العراق الذي أثار ردود افعال غاضبة داخل وخارج العراق، اذ اعتبر قرار مسعود البارزاني حاكم الاقليم تعبيرا عن نزعة انفصالية وتهديدا لوحدة التراب العراقي الذي يتعرض لحملة تقسيم من القوى السياسية العراقية الجديدة. وقد اعتبر حازم جواد، السياسي العراقي وأحد قادة حركة الثامن من شباط (فبراير) 1963 القرار خطوة خطيرة. «القدس العربي» استطلعت موقفه من هذا القرار وعدد اخر من القضايا التي تمس العلاقة العربية ـ الكردية وقياداتها السابقة والحالية في هذا اللقاء.

بعثيون ارادوا حل المسألة الكردية

صحيح ان نظام البكر ـ صدام كان معزولا الى حد ما في بداياته عن التيار البعثي الرئيسي الا ان صدام استطاع بعمل دؤوب وصبور اقناع الكثير من كوادر وقيادات الصف الثاني من الحزب القديم بالتعاون معه عن طريق تقديم نفسه انه الممثل المدني للحزب الذي يقف دفاعا عن مؤسساته وتقاليده امام العسكر الذين يقودهم البكر ـ حردان ـ عماش فتورطت وانخرطت شخصيات كثيرة من الحزب القديم لهذا السبب او ذاك اقتناعا بطرح صدام او اقبالا على مغانم السلطة. ومن المفارقة ان معظم اولئك الرفاق قد تمت تصفيتهم من قبل النظام بعد ذلك اما قتلا او اعداما او سجنا وابعادا ولم يكمل الشوط حتى نهايته مع الرئيس صدام سوى الاستاذ طارق عزيز اعانه الله في محنة أسره واعتقاله.

كانت هناك مجموعة من هؤلاء الرفاق الملتزمين بأصول البعث القديم يضغطون باتجاه حل الاشكال الكردي سلميا وامتدادا لمحاولة قادة حركة الثامن من شباط كما اسلفنا وايقاف نزيف الحرب ووجوب تفرغ الجيش العراقي لمهامه الاساسية التي بنيت عقيدته العسكرية على اساسها وهي الدفاع عن عروبة فلسطين الشغل الشاغل له ولشعبنا منذ الثلاثينات في القرن الماضي والمساهمة بفعالية بالجهد العسكري العربي المشترك على الجبهة الشرقية (جبهة شرق الاردن) بعد احتلال الضفة الغربية عام 1967.

كان المرحوم عبد الخالق السامرائي من قيادات 17 تموز (يوليو) البارزة مسؤولا عن الملف الكردي والجبهة الوطنية حزبيا اما على المستوى الحكومي فكان (السيد النائب) صدام حسين يتولى مسؤولية ذلك الملف يعاونه بعض القادة الآخرين من ذوي النوايا الطيبة والجذور البعثية من مثل مرتضى الحديثي، وغانم عبد الجليل ومحمد محجوب وعدنان الحمداني وقادة اخرون من الحزب القديم بعيدون عن التعصب والشوفينية وممارسات القمع الداخلي يضغطون بهدف تكريس الجهد العراقي صوب الجبهة الاردنية ـ الفلسطينية وغلق الملف الكردي نهائيا لينصرف الجيش العراقي لاداء مهمته القومية.

اقتنعت القيادة العراقية التي تمسك بمراكز القوة في النظام بهذا الاتجاه الذي يهدف الى ايقاف نزيف حرب الاخوة في الشمال. ان الاستاذ جلال اخبرني في احد الايام ان هدف النظام كان التفرغ للاطاحة بنظامه التوأم في سورية ولو اني اشك في ذلك التقييم.

بدأت الاتصالات السرية جدا بالملا مصطفى البارزاني وقيادته التي تمخضت عن صدور اتفاق اذار (مارس) 1970 الذي نص ولاول مرة على منح الاكراد في شمال العراق حكما ذاتيا وكان ثمرة مفاوضات مضنية بين وفدي حزب البعث برئاسة صدام (السيد النائب) والحزب الديمقراطي الكردي برئاسة مصطفى البارزاني.

ومن غرائب بل عجائب تلك المفاوضات ان مصطفى البارزاني كان له مطلب واحد يلح على تنفيذه ولا يحيد عنه ولا يطرح غيره فتفاصيل الحكم الذاتي وتراكمات سنوات القتال تترك للمختصين والمستقبل الا انه يطالب بـ«حلاوة» الاتفاق وعربون حسن نية النظام وذلك باعتقال وتسليم ومن ثم محاكمة واعدام سبعين (70) شخصية كردية وفق قائمة اعدها باسمائهم ويطلق عليهم «جماعة الجحوش» وكان الاسم الاول على تلك القائمة هو الاستاذ جلال الطالباني.

نصيحة لجلال واستقبال «الملا» له

كنت اتوقع في تلك الايام ان النظام قد وضع الاستاذ جلال وجماعته في صورة المفاوضات وتطوراتها الجارية كحليف ورفيق للنظام وشريك له الى ان زارني الاخ جلال كما وضحت سابقا في مناسبات عدة يوم التاسع من اذار (مارس) 1970 للاستعلام مني عما يجري بين «الملا» والنظام وادركت في حينها ان الامر قد دبر بليل بين النظام والملا فنصحته بالخروج فورا من بغداد واللجوء الى الملا قبل اعلان بيان الاتفاق الوشيك وهو بذلك يسهل على «الملا» اتخاذ قرار بعدم ايذائهم والعفو عنهم وقبول «دخالتهم» وبعكس ذلك ستجري اما عملية تصفيتهم في بغداد او تسليمهم الى الملا الذي سينفذ فيهم ما طلبه من صدام وقد شكرني الاخ جلال على نصيحتي المخلصة هذه ونفذها فورا وبعد ساعات من مقابلته لي وفوجئ «الملا» بوصولهم فقبل ادخالهم واقام لهم مخيما في «كلالة» بالقرب منه.

انني سأذكر بعض ما تم في تنفيذه من اتفاق الحكم الذاتي بين النظام العراقي والقيادة الكردية لان هذا الاتفاق كان امتدادا وتطويرا للاساس الذي وضعناه في عام 1963 باصدار قانون اللامركزية وبيان 29 حزيران (يونيو) 1966 وسأتناول ما نفذ بشيء من التفصيل لاجيالنا العراقية الجديدة التي لم تسمع او ترى الا السلبيات في العلاقات العربية ـ الكردية:

اولا: اشترك الحزب الديمقراطي الكردستاني للمرة الاولى في الجبهة الوطنية التي ضمت حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي. ومثل الحزب الشيوعي في الحكومة العراقية مكرم الطالباني وعامر عبد الله.

ثانيا:

اشترك الحزب الديمقراطي الكردستاني في الحكومة العراقية كالآتي:

1ـ حبيب محمد كريم عضو المكتب السياسي بالحزب نائبا لرئيس الجمهورية.

2ـ نوري شاويش عضو المكتب السياسي بالحزب وزيرا للاشغال والاسكان.

3ـ محمد محمود عبد الرحمن او (سامي عبد الرحمن) وزيرا لاعمار الشمال.

4ـ نافذ جلال عضو اللجنة التنفيذية بالحزب وزيرا للزراعة.

5ـ عزيز عقراوي عضو المكتب السياسي وزيرا للمواصلات.

6ـ صالح اليوسفي وزيرا للدولة.

ثالثا: صدرت جريدة التآخي لسان الحزب الديمقراطي الكردستاني في العاصمة ببغداد.

رابعا: فتح مقرات للحزب الكردستاني في المحافظات الشمالية والقضية والنواحي والمحافظات المهمة الاخرى.

خامسا: فتح مقرات للمنظمات النقابية والمهنية والنسوية والطلبة.. الخ.

سادسا: تعيين رؤساء الوحدات الادارية من جماعة الحزب الديمقراطي الكردستاني للوحدات الكردية.

سابعا: موظفون من درجات خاصة (تصدر بمرسوم جمهوري) في مختلف دوائر الدولة.

وبعد مضي فترة قصيرة على صدور اتفاق آذار (الفترة الانتقالية) وحسب الاتفاق بين الطرفين تولت كوادر كردية مناصب محافظي المنطقة الشمالية بدلا من المحافظين العرب فتعين:

1ـ علي عبد الله عضو المكتب السياسي في الحزب الديمقراطي الكردستاني محافظا في السليمانية.

2ـ عبد الوهاب الاتروشي عضو اللجنة التنفيذية للحزب محافظا في اربيل.

3ـ هاشم عقراوي عضو اللجنة التنفيذية في الحزب محافظا في دهوك.

طبعا يصبح من نافلة القول ان جميع الذوات ادوا يمين القسم لخدمة العراق وشعبه وايديهم على القرآن الكريم الموضوع فوق طاولة يخفق عليها العلم العراقي.

ثامنا: تم تشكيل لجنة السلام بين الطرفين برئاسة عضو قيادة البعث ومجلس القيادة الحاكمة المرحوم مرتضى الحديثي رئيسا للجنة وعضوية:

1ـ عزيز شريف وزير العدل عضوا

2ـ سعدون غيدان وزير الداخلية عضوا

3ـ شكري صبري الحديثي محافظ السليمانية عضوا

4ـ غانم عبد الجليل محافظ كركوك عضوا

5ـ خالد عبد الحليم محافظ اربيل عضوا

ومثّل الجانب الكردي السادة:

6ـ نافذ جلال عضو المكتب التنفيذي ووزير الزراعة عضوا

7ـ نوري مشاويش عضو المكتب السياسي وزير الاشغال والاسكان عضوا

8ـ صالح اليوسفي عضو المكتب السياسي وزير الدولة عضوا.

9ـ محمد محمود عبد الرحمن (سامي عبد الرحمن) وزير شؤون الشمال عضوا.

كانت واجبات هذه اللجنة متابعة تنفيذ بنود اتفاق 11 آذار (مارس) وتذليل المصاعب والعقبات وكانت تجتمع دوريا وكلما دعت الحاجة في استراحة السيد مصطفى البارزاني في مصيف «الحاج عمران» وبحضور ولديه ادريس ومسعود وشخصيات كردية اخرى بغرض التشاور لتنفيذ جميع بنود اتفاق آذار المتضمن الحل السلمي الديمقراطي للقضية الكردية.

وكان جميع السادة الممثلين في اللجنة ومساعديهم يحضرون بسياراتهم التي يرفرف عليها العلم العراقي.

وكانت تلك السيارات تحمل فيما تحمل منذ بدأت المفاوضات لعقد الاتفاق وبعد عقده حقائب «السمسونايت» الجميلة التي تقبع داخلها «نضدات» الدينار والدولار مرة من «القائد الشايب» ومرة من «السيد النائب» بالتناوب كهدايا للسيد البارزاني وولديه ولعشرات المرات.

كانت مواقف وافكار المسؤولين عن الملف الكردي امثال المرحومين الذين قتلهم النظام بعد ذلك: عبد الخالق السامرائي ومرتضى الحديثي وغانم عبد الجليل متقاربة ومتوافقة ايجابيا مع الحل السلمي الجذري للمسألة الكردية وفق بيان 11 اذار (مارس) وحتى في مسألة حق تقرير مصير الشعب الكردي النهائي، وكما ابلغنا الاستاذ جلال الطالباني بالخطوط العامة لذلك الحل بعد حركة الثامن من شباط المباركة (14 رمضان) فمستقبل الكيان الكردي وبأي طريقة يقام وأي شكل دستوري يتخذ يجب ان يكون منسجما مع تطلعات الامة العربية وهدفها المركزي الاول بتحرير فلسطين بكامل ترابها وعودة شعب الجبارين الى دياره لا ان يكون الكيان الكردي الذي سعينا نحن العرب القوميين وجاهدنا لكي يرى النور خنجرا في ظهر الاقطار العربية المجاورة وبالتضاد والتصادم مع طموحات الشعب العربي.

تفاصيل عن المباحثات

■ هل بحوزتك بعض المعلومات عما كان يبحث في مقر قيادة الملا بين الجانبين؟

■ انا اعتمد هنا على الذاكرة وعلى قدر معلوماتي عن تلك الايام فقد بحثت حدود منطقة الحكم الذاتي ولم تكن كركوك من ضمنها بأي حال من الاحوال واعتماد اللغة العربية في الدوائر الرسمية والتعليم وتمثيل الكيان الكردي في الحكومة المركزية وتعويض اقليم كردستان في مجال الاعمار عن فترات الاقتتال المتعددة منذ العهد الملكي.

ولم يطرح موضوع العلم العراقي على الاطلاق ولا رفع علم خاص لاقليم كردستان وقصة الاعلام هذه بدأنا بسماعها بعد استباحة العراق وعهد المندوب السامي «بريمر» الذي اراد تصميم علم صهيوني جديد للعراق كما ذكرنا تمهيدا لفتح سفارة وقنصليات للعدو الصهيوني في العراق المحتل.

ولم يصل البحث في مصير مدينة كركوك حد التناحر او الاحتقان العرقي والتهديد بالاقتتال على الاطلاق.

ومن المؤسسات الكردية التي اقرت فيما بعد ولاول مرة واعتبرت مكسبا كبيرا للحكم الذاتي هي تأسيس المجلسين التشريعي والتنفيذي هذا اذا تم تقييم هذا التأسيس موضوعيا، الا ان النظام العراقي عين بعد سنين في هذين المجلسين عناصر من المحسوبين على النظام وليس المحسوبين على الاكراد وهذه السياسة شملت العراق بكامله.

■ اذن لماذا تجدد القتال بعد ذلك بسنين وحتى انهيار الحركة الكردية المسلحة وهروب الملا مصطفى؟

■ انا هنا لا أؤرخ للقضية الكردية وتطوراتها ولست مطلعا على العالم السري للنظام العراقي والحركة الكردية لكنني اردت توضيح وبيان الموقف القومي العربي في العراق وحلوله المثابرة للإشكال الكردي، فقد جرى تشويه ذلك الموقف سواء كان ذلك من قبل الاخوة الاكراد او بسبب ممارسات النظام العراقي القمعية والتي طالت الجميع كالتهجير والتوطين او التعريب او اطلاق المصطلح القرآني الكريم «الانفال» على عمليات النظام الامنية في شمال العراق. وجميع تلك الممارسات التي طالت الاكراد والعرب لا يجب ان تحسب بأي حال من الاحوال على التيار القومي العربي الذي كان البعث طليعته وعموده الفقري.

انني من موقعي كراصد للاحداث وتطوراتها عندما كنت مقيما في العراق حتى نهاية السبعينيات من القرن الماضي استطيع القول ان الانحرافات المبرمجة لصدام واقباله المتوحش على السلطة بدأ بالتبلور في عام 1973 فأبعد عبد الخالق السامرائي المسؤول عن الملف الكردي وكان مخلصا في انجازه وسجن ثم اعدم، ونقل السيد مرتضى الحديثي الى وزارة الخارجية كسفير ونقل غانم عبد الجليل الى محافظة ديالى ولا اظن ان هؤلاء البعثيين الاصلاء وقادة اخرين يقرون او يوافقون على اجراءات وأعمال مثل تفكيك محافظة كركوك وضم قضاء «كفري» الى محافظة ديالى (بعقوبة) و«طوزخرماتو» الى صلاح الدين و «جمجمال» وقادر كرم الى السليمانية. كما حدثت بعض اعمال التهجير للاكراد واسكان للعرب في كركوك ولم يكن هناك اي داع لذلك. فكركوك مدينة عراقية متآخية على مر العصور وقبل قيام الدولة العراقية الحديثة يقطنها بتآخ متميز التركمان والعرب والاكراد من الشيعة الفيلية والسنة علاوة على تجمعات سكنية كثيرة من الاخوة الاثوريين والكلدان.

كما مورست اعمال قمعية في شمال العراق ومناطق اخرى مثل اختطاف واعتقال العديد من الناشطين الاكراد وبعض شيوخ العشائر واولادهم الذين اختفت اثارهم اضافة الى محاولة غامضة لاغتيال «الملا» في مقره بالحاج عمران اثناء استقباله لوفد من بغداد.

وقد تبرأ «النائب» من هذه الممارسات والقى بمسؤولية تنفيذها على ناظم كزار، مدير الامن السيء الصيت وجهاز العلاقات العامة. وجرى ذلك امام حشد من قادة النظام والحزب بعد اعتقال كزار «واعدامه» وابلغ صدام ذاك المؤتمر او المجلس القطري ان جهاز ناظم كزار هو الذي يقوم باعمال الخطف والتصفيات والاغتيالات دونما اي امر او توجيه من قيادة النظام وانه سبب احراجا للنظام الذي لم يكن على علم او اطلاع بعالم ناظم كزار السري.

■ شكرا جزيلا أخ حازم لهذه البيانات والتوضيحات واتاحة الفرصة لنا في «القدس العربي» رغم متاعبك الصحية ونرجو ان تختم هذه المقابلة عن العلم العراقي والعلاقات العربية ـ الكردية.

● شكرا لكم جميعا في «القدس العربي»، وشكرا للسيد حسن نصر الله الذي اراح الشعب العربي من متابعة اخبار حكومات المناطق الخضراء في العالم العربي، واعاد الى الاجواء نقاءها وصفاءها كما كانت في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ايام معارك اسقاط حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور وحرب السويس المجيدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة وحروب حزيران والاستنزاف ومعارك المئة عام في فلسطين الحبيبة، كما اعاد الى النفوس الثقة والاعتماد على الذات ووضع الامة واهدافها على السكة الاولى الصحيحة بعيدا عن القطرية والاقليمية والطائفية والمذهبية التي اراد المستكبرون والصهاينة تأجيجها واشغال الامة بها عن معركتها الاساسية لتحرير فلسطين والعراق وافشال خطط ما يسمى بالشرق الاوسط الجديد، فبورك لنصر الله وجند الله وشهداء لبنان ويا ليتنا كنا منهم.

واقول اخيرا ان الله سبحانه وتعالى اعز الاخوة الاكراد بالاسلام الذي دخلوه طوعا لا فتحا فأعز الاسلام والعرب بهم وكانوا دائما خير نصير للعرب وكان العرب خير ظهير لهم ويكفي ان البطل صلاح الدين بطل «حطين» وتحرير القدس كان منهم.

وما زلت اذكر تعليق قائد الامة الرئيس جمال عبد الناصر في آخر لقاء له معنا في الاسكندرية في شهر آب (اغسطس) 1963 عن المسألة الكردية (يا أخ حازم لقد جاهدنا جميعا بشق الانفس وبتضحيات لا تعد ولا تحصى عبر عشرات السنين لتخليص الاوطان العربية من الاحتلال الاجنبي، واستمرار القتال في شمال العراق يتيح للدول المجاورة ايران وتركيا ان تتطفل وتتدخل في الشؤون العراقية ـ الكردية حماية لمصالحها، وايران عضو في حلف «السنتو» الاستعماري وتركيا عضو في حلف الاطلنطي» ومعنى ذلك اننا فتحنا بارادتنا بوابة ونافذة لتدخل هذين الحلفين في شؤوننا الداخلية. انا معكم في الحفاظ على وحدة العراق وجاهز لأي مساعدة تطلبون لكن من الافضل لنا جميعا ان نغلق بوابة ونافذة التدخل الاجنبي الاستعماري».

فيا لها من نصيحة ثمينة لاخ كريم وقائد عظيم.

حازم جواد

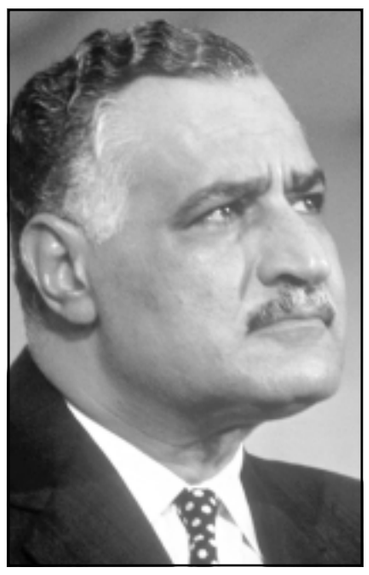

جمال عبد الناصر

كان عبد السلام عارف والمشير عامر وطالب شبيب وطاهر يحيى من ضمن الحاضرين في ذلك اللقاء. واخيرا اخاطب اخوتي الاكراد وكنت دائما متفهما لحقوقهم ومطالبهم العادلة انه ما زال هناك متسع من الوقت للعودة الى جادة الصواب والوطن والتاريخ المشترك.

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وتذهب ريحكم سدى» صدق الله العظيم.

الرئيس الراحل عبد الناصر قال لي في لقاء معه في الاسكندرية في آب (اغسطس) 1963: يا أخ حازم لقد جاهدنا جميعا بشق الانفس وبتضحيات لا تعد ولا تحصى عبر عشرات السنين لتخليص الاوطان العربية من الاحتلال الاجنبي، واستمرار القتال في شمال العراق يتيح للدول المجاورة ايران وتركيا ان تتطفل وتتدخل في الشؤون العراقية ـ الكردية حماية لمصالحها، وايران عضو في حلف «السنتو» الاستعماري وتركيا عضو في «حلف الاطلنطي» ومعنى ذلك اننا فتحنا بارادتنا بوابة ونافذة لتدخل هذين الحلفين في شؤوننا الداخلية. انا معكم في الحفاظ على وحدة العراق وجاهز لأي مساعدة تطلبون لكن من الافضل لنا جميعا ان نغلق بوابة ونافذة التدخل الاجنبي الاستعماري... فيا لها من نصيحة ثمينة لاخ كريم وقائد عظيم

من اليسار محمد عزيز، مسعود البارزاني، شكري صبري الحديثي محافظ السليمانية، خالد عبدالحليم، محافظ اربيل، غانم عبد الجليل، محافظ كركوك، فرانسو الحريري، قائم مقام جومان، مرتضى سعيد الحديثي، وزير الخارجية، عضو مجلس قيادة الثورة، رئيس لجنة السلام، رضى الكولاني، مدير شرطة اربيل، مصطفى البارزاني، رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني، الفريق سعدون غيدان، عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية، عبدالله اغا البشدري، عزيز شريف، وزير العدل، فؤاد المصلاوي، مدير مكتب وزير المواصلات، والاخير من الخلف مراسل وكالة الانباء العراقية

كان جميع السادة الممثلين في لجنة متابعة اتفاق آذار (مارس) ومساعديهم يحضرون بسياراتهم التي يرفرف عليها العلم العراقي وكانت تحمل حقائب «السمسونايت» الجميلة التي تقبع داخلها «نضدات/ رزمات» الدينار والدولار مرة من «القائد الشايب» ومرة من «السيد النائب» بالتناوب كهدايا للسيد البارزاني وولديه ولعشرات المرات